ربيع الثلاثين
ياسمينا عفيفي

ربيع الثلاثين

بقلم: ياسمينا عفيفي

الطبعة الأولى: 2021

كل الحقوق محفوظة

إهداء

إلى كل المحبين في هذا الزمان..

إلى كل المبتسمين في وجوه الآخرين..

إلى كل الصادقين الأنقياء..

إلى كل مَن يواصلون دروبهم رغم صعوبتها..

إلى مصرنا الحبيبة، وشعبها النقي..

إلى الأرض المقدسة، ومهد الأنبياء..

إلى زهرة المدائن، بهية المساجد..

إلى قلب أمي الحنون، وروح أبي الطاهرة..

إلى كل قارئ، عظيم، اقتطف من يومه بضع دقائق؛ ليقرأ كلماتي.

إليكم جميعًا أُهديكم كتابي هذا،

ياسمينا عفيفي.

المقدمة

رسالة الكاتبة الأولى

إلى كل فتاة ثلاثينية، هل تعلمين أن الثلاثين هو ربيع العمر، وأنتِ زهرته المتفتحة؟ هل تعلمين أنكِ في نادي الثلاثين ستتغير نظرتك للحياة تمامًا، ستكتسبين الكثير من الخبرات، ستعيشين الكثير من المعاني، والأحاسيس المختلفة، سيتسع أفقك فيجعلك في أوج حكمتك، واتزانك في الحكم على الأمور، وسيصبح النضج هو شعار تلك المرحلة الهامة من العمر؟ نادي الثلاثين، إذا كنت زوجة سيجعلك أكثر هدوءًا، ورزانة، وسيحطم كل أخطائك الزوجية في العشرينات، ويصحح بعض مفاهيمك الخاطئة، ويصحح مسار حياتك الزوجية. أما إن كنت عزباء فستصبحين بخبراتك، وحكمتك، ونضجك عروسًا مثالية للرجل الحق، وزوجة المستقبل التي ستنجح وتبهر الجميع بحسن إدارتها لحياتها الزوجية. يظن أغلبكن أن الثلاثين هو بداية الشيبة، والعجز، وانهزام الأحلام، ووأد الطموحات، لكنني من خلال هذا الكتاب أقول لكل ثلاثينية أنكِ في نواة شبابك، واكتمال أنوثتك وروعتها. انطلقي -يا عزيزتي- في ناديكِ الثلاثين كفراشة رقيقة ما زالت تحتفظ ببراءتها، وعنفوان شبابها، فأنتِ زهرة هذا الربيع، وبطلته التي ستضيف إليه الكثير من العطر، والبهجة، والكثير من الأثر الطيب. ومن خلال كتابي هذا "ربيع الثلاثين" أقدم لكل فتاة ثلاثينية وعشرينية، ولكل قارئ بشكل عام مجموعةً من الرسائل التي دوّنت بها الكثير من المعاني، والخبرات، والحكم والعِبر الحياتية، والمشاعر، التي اكتسبتُها، وأنا ما زلت على أعتاب نادي الثلاثين. هذه الرسائل من وحي خيالي، لن أكون أنانية، وأعبر فقط عمّا دار بخلدي، وتعلمته من المواقف التي مررت بها فقط، بل سأكون أكثر رشاقة، وسأنطلق، وأغوص في أعماق الآخرين، وأكتب ما

واجهوه، وما دار بخلدهم، ستتنوع رسالاتي بين المعاني والمشاعر، والمعاناة أيضًا، لأن المعاناة جزء أساسي من حياتنا لا نستطيع تجاهله، لكننا نستطيع التعلم منه. هذه كانت أول رسالاتي إليكم، ومقدمتي للقارئ. والآن أترككم للتسع وعشرين رسالة الأخرى، لتكتمل الثلاثون رسالة من نادي الثلاثين. أتمنى أن يجد كل قارئ نفسه في رسالاتي أو في بعضها، لنحلق جميعًا في هذا الربيع: "ربيع الثلاثين".

الرسالة الثانية

في قلبي أنثى شرقية

في قلبي أنثى شرقية، يعتبرونها متطرفة الأفكار، عنيفة المعتقدات، خشنة الأحلام، لا يدركون أبدًا أنها الروح الشرقية التي تسيطر على روح الأنثى التي تميل دائمًا إلى النعومة، والهدوء، واللين في كل ما هو مؤنث، وإلى الخشونة، والصلابة، والحزم والقوة والإرادة في كل ما هو مذكر. ترفض ما آل إليه الوضع في هذا الزمن من اختلاط الأمر، وامتزاج المعايير. اليوم نرى الخشونة والصلابة قد ذهبت إلى غير مكانها، وانطلقت في غير مواضعها، والنعومة والرخوة والهشاشة التي انتقلت إلى الجانب الآخر. أرفض أن أرى من كان يُعد في الأزمنة السابقة فارسًا مغوارًا، وقائدًا ومحاربًا في هيئة راقصة محترفة في تحريك قسمات وسطها، أو فتاة رقيقة تضع القليل من أحمر الخدود أو كحل العين لتبدو أكثر جمالًا وتألقًا، أو في هيئة طفل صغير أبله يسقط فكه الأسفل حين تمر بجانبه فتاة.. أي فتاة!!

حين تقدم أحدهم لخطبتي، وفي أول مقابلة بيننا في منزلنا، ومع أول طلة لي على أعتاب غرفة الصالون تدلى فك ذلك الطارق انبهارًا بمن يعتقد أنها عروسته، لم يكن يعلم أن سقوط فكه السفلي كان بداية سقوطه كليًا من نظري. أطال النظر لي بدهشة سيئة جدًا؛ دهشة طفل خرج للتو من كهف ليرى أشياء ومخلوقات لأول مرة في حياته! عفوًا.. لقد أخطأت، هو لم يطِل النظر لي بل لم يرفع عينيه المبرقتين من على وجهي في الأساس. توهموا جميعًا أنني سأفرد أجنحتي فرحًا بذلك، لم يعلموا جميعًا أنه أيقظ روح الأنثى الشرقية بداخلي، بل أزعجها واستفزها. لو أنه أدار وجهه إلى شخص آخر أو إلى شيء آخر، لو أنه تمالك نفسه بشموخ الرجل الشرقي، لو أنه أعطاني

نظرة تحمل قدرًا من إعجابه بجمالي على قدر من رجولته ثم أدار وجهه عني، لكنه لم يفعل!! وعندما حانت مني التفاتة إليه بعد أن عصرت على رأسي كل حبّات الليمون في دارنا، سقط في هذه المرة فكي أنا السفلي؛ فلقد وجدت وجهًا ينافسني في التزيين والتنميق؛ وجدت آثارًا لبعض لمسات المكياج التي لم أستخدمها أنا بعد! كدت أصرخ بأعلى صوتي، وأقول لهم: "عفوًا.. قد نفد رصيدكم؛ فبداخلي أنثى شرقية!".

الرسالة الثالثة

لا تجعلوني مجرمة

عندما تجاوزت عامي الواحد والثلاثين بكوني فتاة عزباء، وجدتني فجأة مجرمة، مدانة في نظر الجميع. هناك من يحمِّلني مسئولية دخولي هذا العمر دون زواج، فلا يترك مناسبة إلا بادر بتأنيبي وتذكيري، والضغط على هذا الجرح، أو كما يعتقد أنه جرح. وهناك من اعتبرني عينًا حاسدة تخترق حياتهم الزوجية أو العاطفية طوال الوقت. فجأةً وجدتني خارج حدود حياة الآخرين كالغريب! مناسبات وأعراس أعز الأصدقاء، والأقرباء التي تصورتُ أنني سأكون بطلتها؛ أشارك برأيي في هذا وذاك، وأساعد بوقتي هنا وهناك، وأشارك عروستي العزيزة اختيار فستان زفافها، وتأخذني معها في أجواء فرحتها، لم أجد لتصوري هذا مكانًا! بل وجدت أن كل تلك التفاصيل تختبئ مني، ويخبئونها عني، كأنني غريمتهم، أو كأنني وحش مفترس سيلتهم فرحتهم! وجدت الجميع يسند تعثراته في حياته إليَّ؛ أقل موقف أو سوء تفاهم بين إحداهن وخطيبها المُبجل يُسند على الفور إلى الحسد، ومن سيحسد؟! بالطبع.. إنها فتاة الثلاثين العزباء التي لم تنل تلك المكانة العظيمة التي نالها الجميع! تمنيت أن يكشف الله -سبحانه وتعالى- للحظة واحدة نوايا الخلق لبعضهم بعضًا، فتنكشف نواياي، ويرحمني الجميع، ويحلوني من ظنونهم. ليتهم يدركون أن أحلامي الواسعة أكبر بكثير من واقعهم الذي يعتقدون أنه محط أنظاري. ليتهم يدركون أن في محطات حياتي جاءني الكثير أمثال خُطَّابهم، لكنني قفلت بابي في وجوههم، لأنهم لا يناسبون طموحي. ليتهم يدركون السلام الداخلي الذي يسكنني، فيجعلني على يقين أن فرحة الآخرين لن تؤثر في فرحتي، وأن رزقهم لن يأخذ من رزقي ذرة، وأن فرحتي لهم هي سبيلي الوحيد الذي أسير فيه، وليس لي سبيل سواه. ليتهم يدركون أنني

تمنيت لهم أكثر مما تمنيت لنفسي، ولكن لا بأس، ليرتاح الجميع سأقبل بأول طارق لبابي حتى لا يجعلوني مجرمة! ولكن مهلًا لقد جعلوني بالفعل مجرمة! ولكن بحق نفسي حين يُساء اختياري لشريك الحياة، لأتخلص من ظنونهم تجاهي! فيا له من إجرام! ويا لأمرِّ الخيارين! ففضلًا لا تجعلوني مجرمة..

الرسالة الرابعة

"كفاية زن"

ذات يوم جاء زوجي من عمله في ساعة متأخرة كعادته؛ كان مرهقًا، يبدو ذلك واضحًا تمامًا، لكنه وجدني أنا الأخرى مستلقاة على أريكة غرفة الصالون، أتأوه في ألم شديد؛ فقد أصابتني نزلة برد قوية، فما كان منه إلا أن حملني إلى غرفة النوم، وشرع على التو في عمل المشروبات الساخنة، ثم خرج إلى الصيدلية المجاورة لعمارتنا، لشراء بعض الأدوية اللازمة لي. وفي صباح اليوم التالي عندما استيقظت وجدته قد أجرى بعض المكالمات الهاتفية لزملاء عمله، ليتمموا له إجراءات إجازة لمدة يومين. وعندما سألته عن السبب قال لي إنه يريد أن يظل بجانبي لرعايتي حتى أستعيد قوتي. وبالفعل خلال تلك الإجازة الصغيرة لم يترك لي زوجي أي فرصة لمغادرة الفراش؛ كان يقوم بكل واجباتي وواجبات أطفالنا، حتى إنه ذات مرة كان يساعدني لدخول "الحمام"، وما إن تعثرت في ارتداء "شبشب الحمام" حتى ركع على ركبتيه ليلبسني إياه. عندما أسرد هذه التفاصيل على أذن زميلاتي يظنون أنه موقف عادي، أو رد فعل طبيعي من زوج تجاه زوجته المريضة، لكنه بالنسبة لي ليس كذلك على الإطلاق؛ ففي تلك الليلة لم أنم عندما تذكرت أفكاري القديمة التي كانت تسيطر عليَّ تمامًا في بداية زواجنا، عندما كنت فتاة العشرين المدللة، تلك الأفكار التي جعلتني أظن أن انحنائي لتلميع وتنظيف حذاء زوجي جريمة كبيرة في حق كرامتي. زوجي الذي كان يقضى يومه كله خارج البيت في عمله الشاق لأجلنا، ويعود إلى المنزل، ليجدني قد أحضرت له لوحة عريضة من الشكاوى ضد أمه وأخته، من مواقف كان من الممكن أن أتفاداها، لكنني تعمدت أن أشكو لأرى مدى اهتمامه بي وبشكوتي. في نفس الوقت الذي كنت استعلي فيه على قضاء حوائجه، وتلبية متطلباته العادية

بدافع أنني لست خادمة لك ولأولادك؛ فلتكوِ ملابسك، وتنظف أحذيتك، وتدلك قدميك بنفسك، فأنا ابنة فلان ومن عيلة علان، وحاصلة على أعلى الشهادات مثلك. وعندما كان يبدي غضبه بعض الشيء كنت أتهمه بالتهاون في حقوقي، وأنه لا يحبني، ولا يدافع عني. كنت أقضي ليالي وأيامًا في البكاء على زوجي الذي لا يحبني، ولا يهتم بي، وبشكوتي المستمرة ضد أهله؛ فلماذا لم ينهر أمه وأخته، وزوجة أخيه لأجلي؟! هل برد حبه تجاهي؟! هل أخذ مأخذه مني، ولم يعد يبالي بي، ولا بسعادتي؟ أريده أن يقطع علاقته بكل من يضايقني، وكل من أشكوه إليه كي يثبت لي حبه وحميته عليَّ، هكذا كنت أفكر، وهكذا قتلتني أفكاري لسنوات كانت هي الأهم في حياتنا الزوجية. كم كنت ضيقة الأفق حين حصرت حب واهتمام زوجي في مقاطعة أهله لأجلي!! أي شيطان دفعني إلى الوسوسة على زوجي ليكون ابنًا عاقًا تجاه والدته! لماذا قضيت أجمل أيام حياتنا في الشد والجذب والمشاكل؟! الآن علمت سبب غضبه مني، ونعته لي بالنكد، وصغر العقل، لديه كل الحق. آه.. لو عادت بي السنين إلى الوراء لأصلحت الكثير الذي أفسدته، وتركت له مساحات يملؤها أهله وأصحابه دون أن ألومه، فهذا حقه وحقهم أيضًا. لقد أدركت في سن الثلاثين أن لكل إنسان دائرة تشمل أهله وأصحابه، ويأتي شريك الحياة ليكمل هو هذه الدائرة، فتكتمل الحياة، ومن هنا يأتي الاستقرار. أدركت أن شريك الحياة يأتي مكملًا، ولم يأتِ ليمسح الآخرين من دائرة شريكه، ويتركها فارغة لأنه بالطبع لن يستطيع -مهما يفعل- أن يملأها كلها وحده، ومن هنا يحدث الخلل والاعوجاج الذي يكون إبانه بدء المشاكل والجمود الذي يصيب الزوجين. أدركت أن من يعق والدته لأجل زوجته سيأتي يوم ويعق

زوجته وأولاده لأجل أي شيء آخر. أدركت أن حب الزوج لزوجته والعكس أسمى بكثير من أن تحدده مشاكل تافهة، وشكاوى كيدية، وأن المواقف الحقيقية والمِحن الصغيرة هي من تثبت ذلك. أدركت أنه لا عيب في أن تنظف الزوجة حذاء زوجها أو تدلك قدميه بعد يوم طويل ومرهق من العمل. ما العيب في أن يساعد كلٌّ منّا الآخر، ويحنو عليه؟! كنت أنظف حذاء أخي وأبي وأمي، والآن أولادي، فلماذا يُعد إهانة إذا حدث للزوج فقط؟ ولماذا لم يفكر زوجي هكذا عندما انحنى أمام الجميع ليعدل رباط حذائي في الشارع؟ لماذا يعتبرن الفتيات أن هذا مشهد رومانسي، بينما يغضبن إذا انعكس الأمر، وأصبحت الزوجة هي التي تساعد؟! أدركت أنني أضعت أجمل أيام عمري في إطلاق فقاعات فارغة من الشكاوى، وأنني كنت مثالًا حيًا للزوجة "الزنانة"، ومن هنا أنصح كل فتاة عشرينية تعتنق الآن أفكاري القديمة أن تكف عن ذلك، أقول لها وبكل وضوح: "كفاية زن".

الرسالة الخامسة

ابن أمه

أكتب إليكم رسالتي بهذا العنوان، لأنني أريد إيضاح مصطلح متداول، لكنه غير واضح المعالم لدى الكثيرات، وهو "ابن أمه"، تردد هذا المصطلح كثيرًا على ألسنة الفتيات. جميعهن وأولهن أنا، يفزعن من هذا المصطلح، أو بالأحرى من هذا النموذج من الرجال. الكل يهرب ويفر بمجرد أن تلوح في الأفق بادرة تدل على أن هذا الشخص "ابن أمه"، لكنني توقفت عند هذا المصطلح كثيرًا، ماذا تعني الفتيات بهذا المصطلح؟ في حقيقة الأمر وبعد تفكير عميق وجدت أن لهذا المصطلح معنيين لدى الفتيات؛ المعنى الأول: "ابن أمه" البار بها، الذي لا تلهيه حياته وانشغالاته عنها، الذي يرعى حقوقها، ويقضي مصالحها، الخادم لها الذي يضلل عليها بأجنحته، ويحميها من لهيب الأيام. أما المعنى الثاني لمصطلح "ابن أمه": فهو ذلك الطفل الذي لم يخرجِ من عباءة أمه إلى الآن، لا يملك من أمره شيئًا، ولا يستطيع اتخاذ قرارته بنفسه؛ لا شخصية له، ولا رأي، ولا فكر، ولا حزم، لا يملك من الخبرة ما يجعله يبتعد عن ولاية أمه، ولا في استطاعته أن ينفرد باتخاذ قرارات حياته المصيرية. وهنا على الفتاة أن تدرك أن النوع الأول هو المثال الحقيقي للزوج المثالي الذي إن طرق بابها لا بد أن تغتنم الفرصة بالموافقة. أما النوع الثاني الذي ستميزه الفتاة على الفور من أول لقاء بينهما، ففري منه هاربة؛ فالزواج -يا عزيزتي- مشاركة، ومع هذا النوع ستشعرين أنك عمود البيت الوحيد، وأنك سترعين أطفالك الذين أنجبهم رحمك إلى جانب ذاك الطفل الكبير الذي أنجبه رحم حماتك. باختصار -عزيزتي الفتاة- تزوجي بمن يكون مسئولًا عنك وعن أمه، ولا تتزوجي من يكون هو وأنتِ مسئولين من أمه.

الرسالة السادسة

مواقع تواصل بلا تواصل

أتعجب حين أقابل نماذج من جدود، وعمّات، وخالات يعيشون أواخر أيامهم في وحدة رهيبة؛ قلّ من يزورهم، قلّ من يشاركهم ولو سويعات قليلة من يومهم، قلّ من يهتم بهم، ويسأل عنهم باستمرار. هكذا هي الحياة تجعل الجميع ينشغل عن جدودهم وأقاربهم. يتركونهم للوحدة تفترسهم، حتى إذا رحلوا نقيم عليهم المآتم والأحزان على صفحاتنا عبر مواقع التواصل الاجتماعي. أهي متُاجرة بموت أعز الناس إلينا، لنتسول مشاعر العطف والشفقة من الآخرين أم هي الصحوة التي جاءت متأخرة؟! وإذا كانت كذلك فلماذا لا ينصلح حالنا مع من بقي من كبار السن؟! إذن فالأمر ليس صحوة! يؤسفني أن أقول إنها متاجرة رخيصة جدًا بالموت. لا أنكر أن الحياة تأخذنا جميعًا بأقدارها المتلاحقة، فتلهينا عن بعض واجباتنا تجاه أحبابنا، لكنني لا أتفهم أبدًا، ولا أتقبل أن أكون مقصرة في حياتهم، وأتاجر بموتهم. لماذا تخرج قصائد الحب والرثاء فجأة بعد موتهم، وكان من الممكن أن ننعش أيامهم الراكدة ببيت شعر واحد في محياهم؟! لماذا لا نتذكر مواقفهم التي ندين لهم بها إلا في الثانية التي تلي وفاتهم؟! لماذا لا نذكر محاسن أحيائنا الذين يعانون الوحدة والنسيان، وندمن فقط ذكر محاسن موتانا الذين ذهبوا إلى دار أفضل وإلى أرحم الراحمين؟! لماذا لا تتوهج مشاعرنا تجاه الآخرين في واقعهم، ونملأ بها فراغات أنفسهم، ونروي بها جفاء أصاب خاطرهم، كما تتوهج كلماتنا لهم على مواقع التواصل الاجتماعي؟! هل هي حقًا مواقع للتواصل الاجتماعي أم مواقع تكسبنا التبلد في المشاعر، ومن ثم تعد مواقع للهجران الاجتماعي؟!

الرسالة السابعة

أريد جدّي

عندما كنت أشاهد في بعض الأفلام والمسلسلات المصرية نموذجًا للجد الحكيم، الحنون، المرح، الذي يذهب أحفاده إليه في الإجازات والمناسبات، فيغدق عليهم بحبه وحنانه، وتحتضنهم أعمدة منزله البسيط في بنيانه، لكنه عظيم في الروح التي تسكنه، ويشملهم بحكمته، وخبرته الواسعة، كنت أبكي بحرارة، وتصرخ روحي بداخلي معلنةً احتياجها إلى هذا الجد. نعم.. أريد جدي، لأذهب إليه عندما تضيق بي الحياة، عندما تختنق أنفاسي من أعباء هذا الزمن، عندما تأكلني الحيرة، وتتزايد بداخلي الأسئلة التي تدور حول المعضلات التي تواجهنا في هذه الحياة. لماذا ينكر الجميع، أو يتغافل عن عمد احتياج كل أنثى إلى حكمة الرجال وقوتهم؟! لماذا تتعالى بعض النساء عن هذا النداء بداخلهم؟! نعم.. تحتاج كل فتاة إلى رجل حكيم قوي حنون كالجد، أو الأب، لتذهب إليه، وتحتمي به، وتأخذ من خبرته لتفك شفرة المواقف الملتوية التي تمر بها. الآن علمت لماذا تميل الفتاة دائمًا إلى أبيها، ولماذا يميل الفتى إلى أمه. إن كل منهما يكمل ما ينقصه؛ فالفتاة تمتلئ بالعاطفة، فتكمل نفسها بقوة وخبرة أبيها، والولد يمتلك القوة وبعض الخبرة، فيكمل ما ينقصه من العاطفة من أمه. لا شك أن أحضان الجدود والآباء ملاذ مناسب، وحصن منيع لدى كل فتاة مهما تتعلم، وتعمل، وتعتلِ المناصب، وبلغت من العمر مبلغه، يظل داخل كل فتاة نداء داخلي يهتف دائمًا: "أريد جدي".

الرسالة الثامنة

تعددت الأسباب، والزواج واحد

أتعجب كل العجب حين أرى مناقشات تستمر لساعات طويلة، وقد تصل إلى نشوب خلافات حادة بين أطرافها، تدور هذه النقاشات حول زواج الصالونات، أو الزواج عن حب، أو الزواج بعد التعارف على الإنترنت. لا أعلم لماذا يجهل الكثيرون أن الزواج إذا كان عن طريق الصالون أو الحب أو الإنترنت، فإن هذه أسباب للتعارف فقط، وينتهي دورها حين يلتقي الطرفان، وتبدأ علاقتهما. لا شأن لأسباب التعارف بدوافع استمرار الطرفين، ونجاح علاقتهم أو فشلها. فلنفترض أنني قابلت صديقتي لأول مرة في الجامعة، فما فضل الجامعة إن دامت صداقتنا أو ذنبها إن فشلت؟! أعلم أن الكثيرين سيقولون إن الزواج عن قصة حب يتوافر بها أهم شيء فيه وهو "القبول". أقول أنا: ولماذا تفشل بعض الزيجات التي بدأت بقصة حب، ونجحت أخرى بنفس البداية، وكذلك زواج الصالونات يفشل بعضها وينجح البعض الآخر؟! إذن فأسباب وأماكن معرفة الأشخاص لا دخل لها بفشل أو نجاح العلاقات. استمرارية أي علاقة ترتكز على أطرافها، ومساعيهم لإنجاحها، والتضحيات التي يقدمها كلٌّ منهم للآخر.

الرسالة التاسعة

المعادن التي لا تصدأ

يقولون إن الشدة تُظهر معادن البشر، وفي قول آخر: "الشدة تغربل اللمة الكاذبة"، ولكنني أدركت مؤخرًا أن هذا المعنى غير صحيح بل العكس تمامًا. وقت النجاح، والإشراق هو من يُظهِر معادن من حولك، وليست المِحن. بعض البشر لا مانع لديهم في أن تقع فيمدوا لك أيديهم، ويصنعوا لأنفسهم بطولات على أشلاء سعادتك، وأن يرقصوا على جروحك طربًا، وهم يضمدونها كذبًا. البعض يسعى إلى اقتناص دور البطل المغوار أو المُنقذ الهُمام ليضفي إلى نفسه وحياته لمعة زائفة زائلة، لا نكهة لها، ليتصدر الصورة الجميلة أمام الآخرين، لكن ما إن تلملم خيباتك سريعًا، وتستعيد قوتك، وتنهض من جديد، وتقاوم وتنجح، حتى ترى وجوه هؤلاء الحقيقية؛ سيختفي البعض منهم، ويتجاهلون نجاحك، وسينكر البعض الآخر هذا النجاح من الأساس، ويصل الأمر إلى أن يسعوا لتحطيمك من جديد، حتى يقوموا بدور المنقذ ثانية. في بداية الأمر ستشعر بارتباك في مشاعرك تجاههم، ستصيبك الحيرة بين مواقفهم البطولية تجاهك وقت ضعفك، وبين ما رأيته، والذي لا تنكره عين. وقت قوتك وازدهارك ستعتب على نفسك، لأنك ظننت فيهم شرًا، ستلوم ضميرك لساعات، لكنك ستدرك فيما بعد الحقيقة؛ حقيقة أن بعض البشر يحبونك وقت انطفائك، وانهزامك فقط. ستدرك أن النوع الآخر من البشر الذين يحاوطونك وقت ارتفاعك، ويؤاذرونك وقت هبوطك، هؤلاء فقط هم أصحاب المعادن التي لا تصدأ أبدًا.

الرسالة العاشرة

حكاوي المحروسة

بين الماضي والحاضر تختلج وتمزج روائحها، ومشاهد مدينتها، وشواهد شوارعها بين الخيطين، تحمل نسمات هوائها بعضًا من عبق التاريخ بنقائه وسحره الذي لا ينكره أحد، وبعضًا آخر من تلوث الحاضر. تعست أنت حتمًا لو تجرأت، أو بادرت بفك طلاسم سحرها الغامض، أو حاولت وضع يديك على أول الخيط؛ فهي السحر الذي لا تستطيع حل شفرته، أو وصفه، أو تعرف أسبابه. في شوارع مُدنها ترى كل شيء؛ بائع البطاطا ببساطته وصدقه، وبائع البانجو بفساده وإفساده، أحدهم يتحرش، والآخر يدافع ويحمي، أحدهم يُشهر سلاحه، ويطلق أعيرة، وكثيرون لا يخشونه بل، ويحاولون دفع الأذى. في طرقة من طرقات مدنها هناك مجموعة من البسطاء مجتمعون بكل جد لإطفاء حريق، وفي طرقة مجاورة آخرون يصورونه فقط، ليحقق كلٌّ منهم السبق الإعلامي على مواقع التواصل الاجتماعي. تسير في شوارعها خائفًا، مترقبًا ممن يختبىء كالذئب ليلتهمك، فإذا بك تسقط من شدة رعبك، فلا تجد إلا ألف يد تُمد إليك لتنهضك من جديد. هي متجر يمتلىء بباقات الورد. وعلى ناصية شارعه من يتاجر بأعضاء البشر. هي حكاوي القهاوي عن مجرم، وحكاوي أخرى عن بطل صدّ الإجرام. لا تعرف حقًا هي الخير أم الشر؟! هي شوارع النماء أم هي الشوارع القحطاء؟! هي الليل المُتشح بالسواد، ونعيق الغرابيب الذي يحيطك عند مشاهدة البرامج، وتصفح مواقع التواصل الاجتماعي أم الفجر بنسماته الصافية، وشدو البلابل، وآذان الطيور ببدء يوم جديد؟! القاهرة بين الخير الكثير الذي لا يلاحظه أحد، ولا يرويه حاكٍ، وبين الشر المروج له. القاهرة بين المرح الذي لم تلتقطه العدسات، وبين الدموع التي التقطت لها مليون لقطة. القاهرة بين من يثرثرون ويملئون الدنيا

بأننا على حافة الهاوية، ومن يدندنون بأنشودة مفادها أننا أفضل، أننا أقوى، أننا بخير. القاهرة بين الناجي الذي يملأ الدنيا صراخًا من الهلاك، وبين الهالك الذي يعزف ألحانًا لاستقبال النجاة. القاهرة بين الشمس الحارقة، وزخات المطر الراوية. القاهرة بين الشيء ونقيضه. وعلينا أن نختار على أي بر ترسو سُفننا. كل السبل أمامنا. وما تراه عيوننا، وتؤمن به، وتروج له هو القارب المنجي أو الموج العالي الهالك؛ فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟

الرسالة الحادية عشرة

شكرًا يا أبي

في إحدى المجموعات الخاصة بالفتيات على موقع الفيس بوك شدّ انتباهي تعليق لإحدى الفتيات تقول فيه: "لا أصدق أي فتاة تقول إنها تربت دون ضرب، وتعنيف من والدها!". ولهذه الفتاة ولغيرها أقول: نعم.. يا عزيزتي، هناك من تربوا بغير ضرب، أو تعنيف، أو إهانة. جملة هذه الفتاة جعلتني أعود عشرين عامًا إلى الوراء؛ حيث كنت طفلة أبي المدللة، ولكن هذا التدليل يختلف كثيرًا عمّا نراه اليوم؛ تدليل أبي كان يكمن في الثقة التي أعطاها لي، كنت أرى في عينيه نظرة لم تخطئها روحي قط، نظرة أنتِ أعلى من أن تخطئي وأعنفك، أنتِ مختلفة عن باقي بنات جيلك، أنتِ الأميرة التي تتصرف برقي، وتسمو بنفسها عن الخطأ والتخبط. لم يقل لي أبي هذا صراحة. ولن أبالغ وأذكر بعض الجمل الرنانة على لسانه، لأزين بها رسالتي، بل سأكون صريحة تمامًا؛ فأبي لم يُجِد يومًا هذا الكلام المعسول المُزين، ولكنه كان يقول أكثر مما ذكرت سابقًا بأفعاله معي. تربيت على ثقة أبي فيَّ بأنني لا أخطئ. فكنت ألتزم الصواب دائمًا حتى لا أخون ثقته يومًا من الأيام. والشاهد أن بعض الأبناء تكفيهم نظرة ثقة من آبائهم حتى يلتزموا الطريق الصحيحة، ويرتفعوا عن الخطأ. شكرًا أبي، ولروحك الجميلة السلام، سلام عليك. فأنت لم تُهدِني ثقتك فقط، بل أهديتني معنى جديدًا بالحياة، يهديني في تربية أبنائي مستقبلًا.

الرسالة الثانية عشرة

مجتمع الفضيلة

نعلم جميعًا أن زماننا هذا امتلأ حقًا بهؤلاء البشر مُدعي الفضيلة. نراهم يتشدقون ليل نهار بالشعارات، والنصائح الملائكية، وتلاوة بعض الآيات القرآنية الشريفة، إلى جانب ذكر بعض الأحاديث النبوية. بينما لا نسلم من أذاهم الذي يتخفى، ويلتوي ويتلون بمئة لون، حتى لا يراه الجميع؛ فضحاياه فقط من يشعرون ويتألمون من هذه الأفعال المضادة لشعاراته الرنانة. وقد عززت مواقع التواصل الاجتماعي هذا الادعاء داخل النفوس. فما أسهل أن تكتب على صفحاتك ليل نهار ما يُزكيك عند الآخرين، وأن ترسم بكلماتك التي تختارها بعناية الصورة الجميلة التي تريد أن يأخذها الجميع عنك. في غمرة انشغالنا بنقد هذا النوع من البشر وجدنا أن هناك نوعًا آخر صعد ليحارب النوع الأول، ويقضي على ادعاء الفضيلة بنشر الخطأ، والجهر به، وإشاعة الهرج، والتخبط بدعوى أن المخطئين المجاهرين بخطئهم قد يكونون أفضل ألف مرة ممن يدَّعون الفضيلة! أصبح عليك أن تجاهر بخطئك وتفتخر به، أو حتى تدعيه كذبًا حتى لا تكون منافقًا أو مدعي فضيلة. أي منطق هذا؟! ولماذا لا نجيد فن موازنة الأمور؟ هل كي نهرب ونفر من ادعاء المثالية نشيع الخطأ في أرجاء المجتمع ونحلله، ونتعايش معه تحت منطق أن هؤلاء أفضل من هؤلاء؟! هل يجب عليَّ باعتباري فتاة ملتزمة أن أخبئ التزامي، ليتجرأ عليَّ كل ذئب في هذا المجتمع، حتى لا أكون مدعية الفصيلة؟! حقيقةً لا أرى أفضلية لفريق على الآخر؛ الكل حسابه عند الله. لا تقُل ما لا تفعل، ولا تفعل الخطأ، وتحببه لنا. نحن نريد الفضيلة، ولا نريد مُدعيها، ولا ناسفيها!

اعقلوها يرحمنا، ويرحمكم الله.

الرسالة الثالثة عشرة

فارس أحلامي شرقي

لم أرسمه يومًا فارسًا على جواد أبيض شاهق، ولا محاربًا شاهرًا سيفه، واضعًا خوذته فوق رأسه، يحارب بعضلات فولاذية، ولم أرِده يومًا رومانسيًا على طريقة أبطال السينما والروايات؛ يقتبس اللقطات العاطفية المشهودة عبر الأزمنة، والمحفوظة والمدروسة بعناية باردة جامدة خالية من المشاعر الحقيقية، ويعبد رموز التعبير عن الحب كالورد، أو مشاهدة القمر في تمامه، وعدّ النجوم، بل لم أتخلَ يومًا عن ردائي الشرقي في تراثه الأصلي الذي يجعلني دائمًا أهوى الحياة القديمة التي زهدتها الكثيرات، وأطلقوا عليها مسميات عدة تكاد تضيف إليها بعض القبح عمدًا منهن. أنا شرقية وأريده شرقيًا، أريده لا يجد وقتًا كافيًا للكلام المعسول المدروس الذي يُقال بشيء من الروتين العاطفي، يكدح طوال الوقت لأجلي ولأجل بيتنا، فأنا أرى أن عمله هذا تعبير كافٍ لي عن حبه، أرى محاولاته المتكررة في درء الأذى عن بيتنا الصغير أصدق بكثير من أبيات شعر يُعيدها على مسامعي. أريد محبته في إيمانه الدائم بي، وبقدراتي، حتى وإن لم أفعل شيئًا غير أن أطهو طعامنا. أريده محبًا لكل صفاتي حتى غير المحتمل منها. لا أريده نجمًا لامعًا في محيط الآخرين، وأما محيطي معه فتلامسه المتناقضات والتعقيدات. هذا الشرقي الذي تجتهد أحرف قلمي في وصفه؛ طيب الحضور في محيط الآخرين، باذخ في محيطي يجعلني طفلة أمامه، حتى وإن كنتُ أسدًا في غيابه. وأما عن لحظات الود والصفاء التي تهون علينا أعباء اليوم فأريدها صادقة من القلب، تنساب بيننا بتلقائية، نابعة من شعورنا تجاه بعضنا بعضًا. أريد بيتًا شرقيًا تقليديًا كما يرى البعض؛ قائده رجل يحميه بكده وعمله، وكفاحه في الدروب البسيطة، وغيرته وحميته تجاهي وتجاه عائلته، وربته واعية قارئة،

لكنها لا تخجل أن تكون زوجة تطهو وتنظف وتربي، وتخلق هدوءًا لزوجها كتعويض بسيط عن إزعاج العالم الخارجي له على مدار اليوم، ولا تخجل أن تكون لأبنائها احتضانًا بسيطًا يدفعهم مستقبلًا إلى مواجهة الحياة. كم بدت لي هذه الحياة التي يفزع منها الكثيرون الآن كنزًا مفقودًا! كم أفتقد هذه "التقليدية" بل أراها سيدة أحلامي بكل تفاصيلها! ليتنا ظللنا في أحضانها، ولم نغترب عنها. كم أهدتنا هذه الحياة القديمة أبناءً لا يعانون أزمات نفسية! أهدتنا الحياة السوية بمبادئها وأخلاقياتها التي نفتقدها الآن. أهدتنا نوابغ في كل المجالات. أهدتنا الفن والإبداع الذي نعزي أنفسنا في فقدانه. أهدتنا الرقي في كل صوره. لا أملك إلا أن أقول: "أعيدوا إلينا الفارس الشرقي، أعيدوا إلينا البيت الشرقي".

الرسالة الرابعة عشرة

للسفينة قبطان واحد

تتعد أسباب المشاكل الزوجية، ولا تنحصر، ولكنني بصدد مناقشة تلك المشكلات التي يكون سببها تحكمات الزوجة، وقراراتها الخاطئة التي تفرضها في إدارة البيت تحديدًا. لنتفق أولًا أن للسفينة قبطانًا واحدًا فقط، لكنه لا يمحي فاعلية دور باقي فريق عمل السفينة من مساعدين وفنيين، وما إلى آخره. لنختار قبطانًا واحدًا للسفينة إذن، فمن نختار؟ إنه الشخص الوحيد الذي يمتلك الخبرة والعلم، والتماسك، وكل المقومات لإدارتها. كذلك إدارة البيت، فلا بد أن يملك شخص واحد فيه الإدارة في المواقف "الفاصلة" أو "المصيرية"، وضعتهما بين الأقواس لتوضيح أن هناك قرارات في مواضع أخرى لا بد أن يفصل فيها المساعدون. من المحتم أن يكون الزوج هو القبطان، ليس من باب التشريف، وإهانة الزوجة -كما يدعي البعض-، ليس تعسفًا من المجتمع تجاه الزوجة، وتهميشًا لدورها، لكن طبيعة الحياة خاصة في المجتمعات الشرقية تمكن الرجل دائمًا من اكتساب خبرات في الحياة، وفهمها، والتعامل معها أكثر من المرأة؛ السفر، وحكاوي القهاوي، وتغليب العقل على العاطفة، والقوامة، والقوة. كل هذه المقومات تعطي للرجل أفضلية إدارة المنزل، واتخاذ القرارات، والرجوع إليه في كل ما يخص البيت. تحكُّم الزوجة في شئون البيت الخارجية حتمًا سيُحدِث خللًا في السفينة، كما أن تحكُّم الزوج في الشئون الداخلية التي تخص المرأة سيُحدِث نفس الخلل. إذن فكل بيت به سفينتان؛ سفينة قائدها الزوج، وسفينة تقودها الزوجة.

الرسالة الخامسة عشرة

فنجان قهوة

تهب نسمات الصباح معلنةً بدء يوم جديد، ويستيقظ كلٌّ منّا قاصدًا قدحًا من القهوة يحتسيه في فنجانه، ومع آخر رشفة من رشفاته يبتدئ اليوم، وتبتدئ قصته أو لنقول حدوته. البعض يعد فنجان قهوته من البن الخالص، وبعض السكر على الماء المغلي، وهو الفنجان المعتاد لدى الجميع، ولكنْ آخرون يعدون هذا الفنجان بشكل آخر مختلف تمامًا عمّا سبق ذكره؛ منهم من يعد فنجانًا من الابتسام والبشاشة، ويذهب إلى حرفته قاصدًا باب رزقه من عرق جبينه، ومنهم من يعد فنجانًا من اللامبالاة؛ لا يكترث لشيء، ولا يقصد شيئًا، يضع نفسه في مهب الأحداث تحركه أينما أرادت، وحيثما شاءت، ومنهم من يصنع فنجانًا أشدهم مرارة، يجعله خليطًا من التخطيط والأذى، والتدبير في غير الحق، والتفكير في نصرة الباطل الذي يعتنقه، ولهذا الفنجان وضع خاص جدًا؛ فمعده لا يحتسيه، ولا يقترب منه، بل يعده خصيصًا للآخرين، ومنهم من يعد فنجانًا من الرحمة والعطف، يسقي زهوره وطيوره وشجره وأرضه، فهو في عالم آخر يختلف كثيرًا عن عالمنا، هو في حضرة خلق الله، وجنود الله، ورحمات الله، وأنعام الله. لم تنتهِ تحويجات فنجان القهوة بعد؛ فهناك فنجان معد من ملعقة من السوداوية، ورشة إحباط، مع كوبٍ من اليأس أو كوبين، أو ثلاثة، فمعد هذا الفنجان سخي جدًا، لا يحب أن يتناوله وحده بل يُشارك الجميع في احتسائه معه. وهكذا تنطلق الحياة، وتدور عجلاتها بين من يصنع قهوته "سادة"، وآخر يصنعها "سكر زيادة" أو "مضبوطة".

الرسالة السادسة عشرة

التنمر

قديمًا وفي دائرة أصدقائنا وأقاربنا كنا نمازح بعضنا بعضًا بالشيء المختلف لدى كل واحد منا. كنا نسمي هذه "أم نظارة"، وهذه "البيضاء الكالحة"، وهذه "زرافة الشلة"، وتلك "قصيرة العيلة"، وما إلى ذلك من ألقاب نستخدمها فقط للمزاح مع علمنا التام أن كل تلك الصفات أو المواصفات ليست عيبًا أو شيئًا يدعو إلى الخجل، أو نقص بنا، كنا نعلم تمام العلم أن قصر القامة، وطولها، وارتداء النظارة، والسمنة، والنحافة، وكل ذلك ليس عيبًا بل مجرد اختلافات طبيعية بين البشر. ومع صغر سننا، لكننا كنا ندرك ذلك جيدًا. أيضًا لم يحدث أن اهتزت ثقة أحدنا بنفسه من مجرد مزاح يدور بيننا. اليوم وقد ظهر فجأة على الساحة مصطلح جديد فرض نفسه على قاموسنا، واستحوذ على مساحة حوارنا، وأربك الكثير من مفاهيمنا، وهو مصطلح "التنمر". أصبحت كل دعابة بين الأصدقاء تنمرًا، وحادثة مفجعة تتناولها المواقع الصحفية بشيء من اللهفة، لصياغة الكثير من الأخبار.

اليوم ومع انتشار مصطلح التنمر، والمبالغة في تناوله ومناقشته أصبح كل شيء مختلف موضوعًا للتنمر، ويُخجل صاحبه، ويُشعره بنقص ما!

الاختلافات الطبيعية بيننا اعتبروا ذكرها على الألسنة "تنمر"، وضغطًا على جرح صاحبها! إذا قلت لك: "يا صاحبة الفستان الأحمر" سيعتبرونه تنمرًا رغم أن الفستان الأحمر ليس عيبًا يخجلك! أو قلت: "يا بيضاء البشرة، أو يا قصيرة القامة، وما إلى آخره"، أيقنت أن كل ما تُبالغ مواقع التواصل الاجتماعي وروادها في تحليله وتناوله ينتج عنه مشكلات، وظواهر سلبية أخرى تصبح عبئًا على المجتمع. بالاختصار الشديد مصطلح "التنمر" هو من

خلَق الاختلافات وعابها، هو من هزّ ثقة الكثير من الأطفال في أنفسهم، بسبب أشياء طبيعية جدًا خُلقوا بها. مصطلح التنمر هو الذي خلَق التنمر!

الرسالة السابعة عشرة

شكرًا يا أمي

لا أعلم من أين أبدأ رسالتي، فرسالتي غريبة بعض الشيء، تبدؤها شكوى، ويتوسطها عتاب ولوم، وينهيها شكر وامتنان. في رسالتي سأحدثكم عن "أمي"؛ أمي تلك السيدة العظيمة التي تولت مهامًا شاقة جدًا تفوق قدرة أي امرأة، لكن أمي كان لها قاموس خاص جدًا في تربية أبنائها، وخاصة البنات؛ قاموس لو دُرِّس للثكنات العسكرية لأفادهم كثيرًا. في قاموس أمي كان كل شيء غير مباح، وممنوع، ويوضع تحت بند الإجرام إن فعلناه. لا زيارات لمنازل الأصدقاء، وأما زيارتهم لمنزلنا فبمواعيد محددة، ولا زيارات للأهل والأقارب إلا في ظروف نادرة جدًا. كنا نذهب إلى بيت جدتي (والدة أمي) يومًا في الأسبوع، ويجب أن نذهب جميعًا، ولا يتخلف منًّا أحد، وبرئاسة أمي كان يتحرك موكبنا جميعًا إلى الجدة، وعند الزيارة كان ممنوعًا منعًا باتًا أن نجلس بين الكبار، ونستمع إلى حديثهم، لم يكن هذا فقط خلال زيارة جدتي بل كان قانونًا عامًا غير مسموح تجاوزه أو انتهاكه. كان كل شيء في قاموس أمي يُقاس بالمسطرة، ويجب أن نلتزم بحذافيره. النوم والأكل بميعاد محدد. وأما عن غفوة العصاري فلم يكن الأمر لدينا خياريًا؛ إن لم تنم فكفوف أمي ستقوم بواجبها، لترسلك إلى أحلام عميقة إجباريًا! بالنسبة لي كانت قوانين أمي أقسى وأشد، لأنني كنت أنا الطفلة الوحيدة، تفتحت عيني على الدنيا لم أجد من أشقائي من يقاربني في العمر غير شقيقتي "دعاء" التي كانت تكبرتي بثلاث سنوات، أما باقي الأخوة فمنهم من كان في عمر الشباب، ومنهم من كان في عمر المراهقة، وقوانين أمي تزداد حدتها وشدتها على الصغار، فالكبار حفظوا بعض الدروس وتعلموها. أتذكر أن أول مرة ضربتني أمي حين تهورت وخرجت لأشارك أبناء الجيران اللعب في الطين. كان عجن الطين واللعب به إغراءً

خاصًا بالنسبة لي، وتجربة كنت أحلم بخوضها. وبالطبع قوانين أمي تمنع منعًا باتًا كل أشكال اللعب واللهو، عدا اللعب بالدمى التي كانت تعوضني بها هي وأبي حتى اقترب عددهم إلى العدد المناسب لإحياء معرض للدمى. ما علينا.. نعود إلى تجربة اللعب بالطين التي أقدمتُ بكل براءة على خوضها بعد أن اغتسلت، ومشطت أمي شعري بتسريحاتها المعتادة، وارتديت أفضل فساتيني خرجت لأشاهد أبناء الجيران، وهم يلعبون من بعيد فقط -كما وصتني أمي- واعتدت أن أفعل ذلك يوميًا، لكن في هذا اليوم لم أستطِع كبح رغبتي، وشاركتهم في عجن التراب بالماء، وكانت معي أختي، فما كان من أمي إلا أن ضربتنا بالعصا على كل كف عشر ضربات حتى تورمت يدانا، ولأنني كنت طفلة منزهة عن الضرب والإهانة، ولم أعتَد عليهما فقد تأثرت ومرضت، وارتفعت حرارتي في هذا اليوم، وسهر أبي يدلك رأسي، وهو ينظر إليّ بأسى. هذا واحدٌ من آلاف المواقف عن حدة تربية أمي التي كانت تتدخل حتى في انتقاء أصدقائي وكل شيء، كبرت على هذا النهج، ولم أكتسب أي خبرة في الحياة إطلاقًا؛ كنت كصفحة بيضاء تمامًا لم يكتب عليها شيء بعد. وحين دخلت الجامعة أنقذتني رحمة الله بأن أهدى إليَّ صديقتين مخلصتين نقيتين؛ هن: "هدير" و"ريهام"، ظلت دنيتي صغيرة تقتصر على أسرتي وصديقتيَّ وأسرتهما الحنونتين الطيبتين. وحين تخرجت، وتوسعت علاقاتي هنا كانت بداية المأساة حقًا؛ وجدتني في عالم آخر غير الذي كنت أتعامل فيه، لا أعلم كيف أصف ذلك، لكنني سأقول إن شخصية "مصري" في فيلم "عسل أسود" التي جسدها الفنان "أحمد حلمي" كانت تصفني تمامًا؛ أن تكون إنسانًا تربيت في تربة، ثم تضطر إلى التعامل مع أناس تربوا في تربة

مختلفة تمامًا، أن تكون إنسانًا مباشرًا وواضحًا وشفافًا، وتأخذ كل كلمة بمعناها المباشر، ثم تجد أن الكلمة الواحدة تقال وتحتها ألف معنى، أن يقول لك أحدهم "خلي" ف "تخلي الأجرة" وتشكره، وهو لم يقصد ذلك! كما جاء في أحد مشاهد الفيلم. في النهاية وجدتني لا أعرف كيف أتعامل؛ أتعرض لمواقف ملتوية، ولا أجيد حسن التصرف بها. كنت أذهب في نهاية كل يوم إلى غرفتي، أبكي بشدة وألوم أمي؛ لماذا لم تتركنا للحياة، لماذا خبأتنا لسنوات طوال عن الناس وعن حياتهم، ولم تتركنا لهم يعلموننا كيف نسير في دروبهم المعقدة تلك؟! لكنني في يوم حين سألتني إحدى العزيزات: "أتعرفين ما الذي يميزك عن بقية البنات، ويحبب الناس فيك؟"، لم أكن أعلم الإجابة فصمتُّ مندهشة، وأفسحت لها الطريق، لترد قائلة: "براءتك وعفويتك". كثيرون امتدحوا فيَّ هذه البراءة، وحدثوني عنها، لكن حوار تلك العزيزة أشعرني بالفخر. نعم.. قاموس أمي على قدر شدته وقسوته، لكنه جعلني مختلفة، وأكسبني صفات كان من المستحيل أن أكتسبها لولا هذا القاموس، فشكرًا يا أمي، يا من قسوتِ، وتسلطتِ لتُخرجي أفضل ما فينا، شكرًا من القلب يا أمي.

الرسالة الثامنة عشرة

صينية بطاطس

جاءتني إحداهن بخيلاء تطلب خطبتي لابنها، الذي يبلغ من العمر ٣٨ عامًا، لكنه بلا سكن، بلا راتب، والأدهى أنه كان بلا شخصية! نعم.. بلا شخصية! هاتفه المحمول في شنطة "العزيزة طنط"، ترد على مكالماته، وتحدِّث أصحابه، وتأخذ القرارات نيابةً عن فتى الثلاثين المُدلل. تهاوت كل أحلامي عند رؤيتي هذا المشهد، وأنا التي كنت أكتب دومًا عن الرجولة، وتحمُّل المسئولية. هذا بالنسبة لي، وماذا عن أمي؟ بالطبع.. نُسفت أحلامها هي الأخرى، فقد كان كل ما تسعى إليه من زواجي هو أن تتركني في حماية "رجل" لتطمئن عليَّ، فكيف بحالها الآن، وقد شاهدت بأم عينيها أن هذا الزائر الذي تحمست له كثيرًا قد بدّد له أحلامها تلك، وسيكون هو مسئولًا من ابنتها، وليس العكس! ولكن لنعود إلى أول نقطة، وهي "العزيزة طنط" التي تركت كل مصائب فتاها المدلل، وفتحت تحقيقًا معي حول الأكلات التي تعلمتُها، وهل أجيد عمل صينية البطاطس أم لا؟! لا بد أن أتعلمها فنن عيون أمه يحب صينية البطاطس باللحمة، وانتقلنا بعد ذلك إلى طريقة تحضير المحشي بأنواعه أيضًا، لأن عريس الغفلة يحبه. كل هذا و"طنط العزيزة"، تحدثني وقد وضعت قدمًا فوق الأخرى مختالة، لأنها تمتلك ذكرًا، وتذهب به إلى بيوت الناس واثقة من موافقتهم فقط لأن ابنتهم تجاوزت الثلاثين! لا أنسى تلك المزحة السمجة حين قالت لي: " سأجلب لك مكسرات، لأختبر سلامة أسنانك مثلما يفعلون في الأفلام هههه". ما هذا السخف الذي اجتاح منزلنا، وأغرقه بمجرد أن وطأت قدمهم أعتابه!! فإلى كل طنط عزيزة تعتقد أن فتاة الثلاثين تجلس في محطة الانتظار، لتركب أول قطار متهالك رث، أقول: عفوًا يا طنط، لا أجيد عمل صينية البطاطس، وأسناني هشة لا تستطيع كسر

مكسراتك، عفوًا.. سأنتظر قطارًا خاصًا من الدرجة الأولى، وسأرفض قطارك المتهالك هذا الذي عميت عينك عنه، وعن نقصانه، وتبحثين عن الكمال فيَّ وفي غيري بكل ثقة. إلى طنط العزيزة: اذهبي، وتحسسي لابنك فتاة تشبهه؛ بلا هوية، بلا أحلام، بلا مبادئ وأفكار. ابحثي لمن لا يملك أيًا من مؤهلات الزواج عمن يشبهه، ابتعدي عن فتيات الثلاثين الناضجات اللاتي تحملن المسئولية، وأصبحن سندًا لكل من حولهم، ابتعدي عنهم، فبضاعتك لن تملأ عينهن قط!

الرسالة التاسعة عشرة

آخر العنقود

في وضع المعقود..

فرسالتي ستأخذكم إلى جانب مظلم من حياة "آخر العنقود" الذي يطلقون عليه السكر المعقود، لكن في حقيقة الأمر، وفي بعض الأحيان يكون صاحب الوضع المعقود يظن الجميع أن الفتاة آخر العنقود تتمتع بدلال ورفاهية، ومعاملة خاصة من الجميع، وهذا تصور قد يكون صائبًا، وقد لا، لكنني نظرت بزاوية مختلفة تمامًا من حياة آخر العنقود التي تصل إلى زهرة شبابها، فتجد أن الجميع قد انفضوا إلى حياتهم، وأنها وحيدة في أهم مرحلة في حياتها. لا تعيش آخر العنقود أهم مرحلة من عمرها، وهي مرحلة الشباب وسط أسرة، ولا تتمتع بتجمعات العائلة، ولا تجد من يشاركها أسعد اللحظات أو أتعسها. بالطبع لأن أشقاءها قد تزوجوا، وكوَّنوا أسرًا، وأصبح لكل واحد منهم حياة خاصة به، أما الوالدان فقد بلغوا من العمر مبلغه، أو تُوفيَ أحدهم، أو كلاهما. في كل الأحوال لم يعودوا في أوج تحمسهم للاستماع والمشاركة؛ فالشيبة بالطبع لها أحكامها، وأعذارها التي ألتمسها جيدًا. في النهاية تصبح آخر العنقود هي آخر اهتمامات الجميع، في نفس الوقت الذي يكون فيه الجميع أول اهتماماتها. هذا عن آخر العنقود بشكل عام. أما عن آخر العنقود الثلاثينية فحدِّث ولا حرج. أن تكون آخر العنقود ثلاثينية عزباء، فهذا يعني الكثير لمن يشعر؛ يعني أن تزداد مسئولياتها التي لا يعترف بها أحد، وأولهم رعاية والديها والخوف عليهما، وخوفها من أن تفقدهما فتزداد وحدتها. تُخفي الكثير عنهم من مطبات الحياة التي تؤلمها كي لا تثقل عليهما. في الوقت الذي ينشغل كلٌّ منهم، وينغمس في أدق وأصغر مشاكل

المتزوجين. نحن نحيا في مجتمع لا ينظر إلى مسئوليات الفتاة العزباء أو حتى يعترف بها. الجميع يعتقد أن المِحن والمشاكل الحقيقة تأتي بعد الزواج، حتى لو كانت هذه المِحن في هيئة مشكلة أن إحداهن ألقت السلام على أهل زوجها فلم يجيبوا، تلك في نظر الجميع مشكلة حقيقية يجب أن يتوقف عندها الزمان والمكان حتى يتم حلها! أما التحديات التي تواجهها العزباء من سخافات بعض البشر ونظراتهم إلى إداراتها لحياة كاملة بمفردها؛ لا يسندها أحد؛ ولا يساندها أحد، تقف وحيدة في مهب رياح القدر العاتية. بمرور الوقت تصبح حياة الفتاة الثلاثينية العزباء وآخر العنقود مرهونة بحياة من حولها؛ لا استقلالية ولا خصوصية. تستيقظ كل يوم على مشاكل الآخرين التي تستحوذ على اهتمام كامل الأسرة، حتى الخصوصية المنزلية غير موجودة، لأن بيت الأسرة ملك للجميع، وكل شيء فيه مباح للكل، حتى وإن كانت غرفتها الخاصة. لا أحد يعلم حجم التحديات اليومية التي تواجهها. لا أحد يعلم كيف تدير حياتها، وتدبر أمورها، وتخطط لمستقبلها مجهول الملامح. لا أحد يهتم بها كزهرة في ريعان شبابها تذبل كل يوم بذبول الجميع. وعند ازدهارهم لا يرويها أحد.

لم أكتب رسالتي لأبث المزيد من التعاسة والكآبة إلى صدر القارئ، لكنني أردت أن أصحح مفاهيم البعض فيما يخص حياة فتاة الثلاثين العزباء التي يظنها الجميع تعج بالرفاهية والفراغ، وتخلو تمامًا من المسئوليات والتحديات. فضلًا.. أعيدوا النظر في معتقداتكم، فكل إنسان في هذا الزمان يحمل من الهموم والتحديات ما ترهقه.

الرسالة العشرون

"مش ستروبج إندبندنت ومان"

أكتب إليكم رسالتي التي قد تُغضب الكثيرات مني، وتعبر عمّا يعتمل بنفوس الأخريات.

لن أقصد برسالتي نسف دور المرأة العاملة أو المستقلة، بل أرى أن دور المرأة أعم وأشمل، وأوسع مما يدعون إليه، ولا ينحصر في نموذج واحد محدد. بعد مشوار طويل لي في العمل، خاصة في مرحلة العشرينات التي تعج بالنشاط والطاقة غير الموظفة غالبًا، أو غير الموجهة في الطريق التي تشبهنا. تبدأ هذه الطاقة في النشاط بعد التخرج الجامعي مباشرة؛ تلك المرحلة التي نرسم فيها أحلامًا واسعة عن الاستقلال، وتحقيق الذات، والتقدم المهني، والنجاح. تبدأ حياتنا العملية، فنظن أن كل مقومات نجاحنا بها تكمن في الاجتهاد والذكاء، وأن نشتغل على أنفسنا، وننمي قدراتنا باستمرار، ونكتسب بعض المهارات التي تفيد، ثم نكتشف أن كل ما سبق ليس له أهمية إن لم يكن مقترنًا ببعض المهارات الأخرى؛ كالمجاملات، والمهارة في توسيع العلاقات داخل دائرة العمل، ومجاراة المناخ العام به؛ وإن كان لا يلائم عاداتك أو ما تربيت عليه، وما إلى آخره؛ على سبيل المثال: اجتماع الزملاء صباحًا لتناول وجبة الإفطار، بما في ذلك من مخالفات أولها، إهدار ساعات العمل، والثرثرة حول حياة الآخرين، والفضح في أسرارهم، وأكثر الأحاديث براءة هو الحديث حول "طشَّة الملوخية"، و"تقلية البامية"، هذه الجلسة الصباحية إن امتنعت عنها فأنت متعالٍ دخيل عليهم، ومن ثم يتم نبذك. أيضًا قد تفوتك بعض الترقيات، والارتفاع في العمل مهما تكن مجتهدًا، لأنك لا تجيد المجاملات الزائدة، ولم توسع علاقاتك. ناهيكم عن المشكلات التي

ستقابلك حين يخطئ رئيسك في العمل فيلبسك الخطأ، أو إضافة المزيد من أعباء الشغل وإسناده إليكِ، لأنك عزباء، وليس لديك مسئوليات كباقي الزميلات. ولا أريد أن أذكر الكثير من الأمور التي تواجه المرأة. لا أنكر أن هناك الكثير من الناجحات البارزات في مجالاتهن، وبمجهودهن الشخصي، وذكائهن مع التزامهن بالمبادئ، لكنني أجزم أنك إن أجريت حوارًا مع إحداهن ستعرف كم التحديات، والعقبات التي أضاعت أيامًا لتخطيها، ودفعت ثمنها من راحتها النفسية والعصبية. دعوني أدخل في نواة رسالتي، وأقول إنه لا قوة على الأرض تجبرني أن أفقد أعصابي وهدوئي وراحتي، لأخرج من كينونتي يوميًا لأشهد زحامًا مروريًا، وصخبًا اجتماعيًا، وتدميرًا نفسيًا. لا أريد أن أكون امرأة قوية مستقلة بهذه الصورة التي صدّروها لنا. أنا امرأة قوية بتمسكي بمبادئي، مستقلة أجرب كل ما أهواه من كتابة ورسم وعزف وأشغال يدوية، أنمي مهاراتي المختلفة، وأعيش في عالمي حرة طليقة، أفعل ما يحلو لي، ولا يتحكم بي أحد، ولا تتحكم بي قوانين لا تلائمني، ولا تلائم مبادئي، أملك نفسي ووقتي ومجهودي، وأتحكم فيما يقابلني في الحياة، لا أُجبَر على مزيدٍ من العلاقات.
نعم.. أؤمن أن النجاح ليس له قالب محدد، أؤمن أن لكل منّا قصة نجاح خاصة به، وإن لم يعلم بها أحد.

الرسالة الواحدة والعشرون

رومانسية دون فعل

وإن أخبرتم فتاة الثلاثين عن معنى الحب الحقيقي الذي تتمنى أن تجده مع شريك حياتها، فستجدون إجابةً قد تدهشكم حقًا؛ ففتاة الثلاثين لا تنبهر بتلك القصص التي تثير شغف الفتيات على مواقع التواصل الاجتماعي؛ مثل: الفنان الفلاني الذي غنّى لحبيبته الفلانية، وصورة الممثل التركي العلاني الذي ينظر بهيام إلى زوجته في صورة التُقطت في مهرجان سينمائي يعجُّ بالحاضرين. أما عن مشاهد الحب البلهاء التي تُصدرها لنا الأعمال الفنية الحالية، التي يظهر فيها البطل كالببغاء يردد كلمة "أحبك" في المشهد عشر مرات بدون توظيف حقيقي للكلمة داخل المشهد. وما إن تُذاع حلقة العمل الدرامي التي تشتمل على ٥٠٠٠٠٠ كلمة "أحبك" التي قيلت بمناسبة وبدون مناسبة، حتى تتسارع المراهقات على منشورات تحليل المشاهد التي تعد بالنسبة إليهن قمة الحب والعطاء، وأعظم أحلامهم أن تتشابه قصصهم في الواقع مع تلك الصورة شاهقة البياض!! الأمر يختلف تمامًا مع ابنة الثلاثين التي تعي تمامًا أن الحب الحقيقي ليست كلمات رنانة تقال في جمل غير مفيدة، ليس نظرة حنونة في صورة أمام جمع غفير من الحضور والصحفيين، ليس شِعرًا أو منشورًا يقصد به الشهرة، أو جمع عدد أكبر من المتابعين، ليس صندوق مفاجآت يُصور، ويلحق به مزيد من الصرخات المفتعلة، حتى يجمع أكبر عدد من المشاهدة. الحب الحقيقي هو مواقف، وأفعال من الدرجة الأولى، وغالبًا ما تكون في أصعب الظروف. يبهرني دائمًا فيلم "خلي بالك من عقلك" بطولة عادل إمام وشريهان، أتأمل تلك القصة الغرامية التي جمعت طالبًا جامعيًا بأحد المرضى النفسيين في المستشفى التي يتدرب بها، وكم التحديات الحقيقية التي يواجهها كل من اختاروا

شركاءهم في ظروف صعبة -كما جاء في الفيلم- يستوقفني المشهد الذي يحطم فيه "عادل إمام" جهاز الكي الكهربائي الذي يرعب حبيبته أمام عينيها لتشعر بالأمان، حتى وإن كانت النتيجة هي رسوبه. كم يعبر هذا المشهد تحديدًا عن المعنى الحقيقي للحب والرومانسية؛ الرومانسية التي حصرها الشعراء والملحنون، وهواة الغناء في الورد والأبيات، وتأمل القمر والسماء. الرومانسية قد تأتي في أعنف المواقف، وأكثرها حدة وصعوبة. الرومانسية إن اتسمت بالصدق أتت في أي صورة، وفي أي زمان، وأي مكان. الرومانسية هي أن تجد الحماية، والأمان مع الشريك حتى وإن لم يقل لك كلمة حب، فسيشعرك بها كل أفعاله التي تنطق بها. باختصار فتاة الثلاثين لا تريد رومانسية الكلام، لكنها تهوى رومانسية الأفعال.

الرسالة الثانية والعشرون

أحبّ نفسكِ كما هي

في ربيع الثلاثين ستتصالحين كثيرًا مع روحك، ستحبين كل شيء منك، حتى عيوبك الشكلية، واختلافاتك التي تُقلقهم ستفخرين بها. ربيع الثلاثين هو ربيع التصالح مع النفس والسلام الداخلي. فأما عني فقد أحببت كل ما يتعلق بي؛ قد أكون قصيرة القامة، ضئيلة الجسد، لا أملك قوامًا مثاليًا، بل أنحف تارةً، وأُصاب بالزيادة في وزني تارةً أخرى، مما يثير ضيق البعض، ولا أمتلك صوتًا أنثويًا بل يطبع على صوتي لكنة طفلة في الخامسة من عمرها، لا أمتلك صفات الفتاة الجميلة. ولا أملك تلك الصورة المرسومة في الأذهان التقليدية عن المرأة القوية المستقلة. تقلقهم عفويتي، وضحكتي المنطلقة على عجلة، ودون إرادة مني في بعض الجلسات الجادة. يبحثون في عن آثار الثقة بالنفس، والتروي، والقوة، والجدية فلا يجدونها، لأنني ببساطة قد غيّرت معالمها. أنا قوية بالصورة التي أراها، وبمعتقدي بهذا الشأن، وجادة بما يناسبني، وإن تغلغل جديتي بعض الهذْي فأنا أرى هذا مناسبًا لي. أنا أحب نفسي كثيرًا، وأحب صورتي، وأحب كل تفاصيلي الشكلية، راضية عن إدارتي للأمور، لأنها تناسب تمامًا ما أؤمن به، أعشق سلاستي في عيش الحياة وبساطتي. يكفي أنني أنظر إلى مرآتي فلا أرى وجهًا قد ظَلم أحدًا، أو خطط لإيذاء آخر، أو أقحم نفسه فيما لا يعنيه، أو استسلم لتيار القبح الذي اجتاح هذا العالم، أنا أحب نفسي هكذا، وهذا كل شيء.

الرسالة الثالثة والعشرون

الرجل الحلو

اسمحوا لي أن اتحدث في سطور قليلة، وبشكل مختصر عن صورة الرجل الحق. في عيني

الرجل الحق هو الذي تستشعر الفتاة هيبته من أول وهلة، وأول كلمة. هو الذي مهما تبلغ قوتها تشعر أمام هيبته بضعفها. فالفتاة مهما تبلغ قوتها وهيمنتها في اتخاذ القرارات، واعتمادها على النفس تصبح أمام الرجل الحق قطةً سكينةً تنصاع لكل قرار، وتستمع لكل رأي منه، كأنه طوق النجاة. لا يشعر بقوة المرأة إلا أنصاف الرجال، فالرجال الحقيقيون هيبة حضور تلائم تمامًا غريزة كل أنثى في أن تنصت، وتستند، وتتكئ، وتستريح، وتفتح نوافذ الجمال لوجدانها بعد أن أغلقتها أعباء الحياة.

الرسالة الرابعة والعشرون

تنازلات بلا صدى

لا أبالغ حين أقول إنني قضيت سنوات طوالًا من التنازلات التي لا تجد صدى، ولذلك أردت أن أوضح في رسالتي هذه تلك التنازلات ببعض الأمثلة، وسأبدأ بنقطة هامة يجهلها البعض، التنازلات -يا سادة- ليست دائمًا تضحيات كبيرة في مواقف عظيمة؛ التنازلات قد تبدأ من أشياء بسيطة جدًا، وتمتد لتصل إلى هذا الحد العظيم السابق ذكره. نبدأ في ذكر الأمثلة؛ أن تتنازل حين يقول لك أحدهم معلومة تعرفها أنت من قديم الأزل، وتعرف جيدًا أنها أضيفت إلى معلوماته توًا، لكنك تستمع إليه في شيء من الاهتمام، ثم تشكره لأنه أضافها لك مخفيًا معرفتك بها كي تحافظ على مشاعره، فيظن نفسه عالمًا أسقاك -أيها الجاهل- من بحر معلوماته، أن ترسم لوحة غاية في الإبداع، ويرسمها غيرك بشكل مضحك فتُبدي إعجابك الشديد بلوحته، وتثني عليها كنوع من تشجيعه، فيظن نفسه "بيكاسو" زمانه، وتأخذه الجلالة، ويغدق عليك بنصائحه في الرسم، ويرشدك إلى كيفية التعلم منه، فجأة تصبح أنت الراسم الفاشل وهو المبدع. أيضًا أن يأتي أحدهم لخطبة فتاة، فتتنازل هي عن حقوقها المادية، لأنها تربَّت في بيت أصيل، وتعلم أن الرجل لا يعيبه إلا أخلاقه فقط، ولأنها ليست مادية، فجأةً تكتشف أن ذلك الطارق بابها، أخذته العزة بالإثم، وظن أنه دنجوان العصر، ومعذب قلوب العذارى، ووسامته التي تغرق الشوارع والطرقات قد ألهبت قلبها، ولم تستطِع مقاومة تلك الوسامة الخارقة، فتنازلت عن حقوقها تلك كي تنال شرف الارتباط بفتى الشاشة الأول. أن تثني على كل من حولك، وتذكر لهم مميزاتهم في كل مناسبة، وتضع أمامهم نقاط قوتهم، ومواطن جمالهم باستمرار، فتكتشف بمرور العمر أنك وضعت الجميع في مواضع قد

تفوق موضعهم الحقيقي الذي يستحقونه، بينما لم يهتم أحد ولم يلتفت إلى مواطن جمالك وتميزك، فيصدقون أنهم نجوم تلمع في السماء، وأن ثناءك الدائم عليهم واجب عليك، وقد يتطور بهم الأمر، ويظنونه حسدًا. أن تقدم زوجة الابن كل خدماتها لأهل زوجها في صمت ورضا، دون أن تزهو بما تفعله، فتصبح بعد ذلك هي خادمة البيت، وهذا واجبها، بينما يذهب الاحترام والتبجيل إلى من لا يقدمون شيئًا. أن تقف بجانب كل من حولك في تعثراتهم، حتى وإن كانت تلك الوقفة مجرد أن تستمع لهم وتواسيهم، بينما تتكتم أنت في أحزانك، وتخفي آلامك، وتقلص شكواك، فيظن الجميع أنهم هم وحدهم أصحاب الهموم التي تستحق الاهتمام والدراسة، بينما أنت خالٍ تمامًا في عيونهم من الهموم والمشكلات. كل ما سبق ما هو إلا أمثلة محدودة جدًا للتنازلات التي تجد صداها، لماذا؟ هل فكر أحدكم لماذا؟ هل وجدتم الإجابة التي أوقن أن الجميع يبحث عنها؟ أنا وجدتها بعد تفكير عميق، وبحث عقلي شاق جدًا. الإجابة -يا سادة- أننا في زمن "الزيف"، نعم.. التزييف هو سيد الموقف، لو تأملنا الأمثلة السابق ذكرها سنجد دائمًا أن من يتكلم أكثر يكسب أكثر، من لا يفعل شيئًا يصدق أنه يفعل ويصدقه الجميع، ومن لا يبدع في شيء يوهم الجميع أنه يبدع، وكالعادة يصدقه الجميع. الفاعلون في صمت، المبدعون في الصمت، الجماليون في صمت، المتنازلون في صمت لن يجدوا مكانًا مناسبًا لهم في هذا الزمن؛ فالكلام والصوت العالي، والتزييف هم أسياد الموقف، ولذلك ستظل تنازلاتهم بلا صدى.

الرسالة الخامسة والعشرون

أنت ناجح

في مجتمعنا يحصرون مفهوم النجاح في قوالب محددة كالشهرة، وأعلى المناصب، وأعلى الدرجات العلمية، والبحث العلمي، وما إلى آخره. ومن ثمّ فأي شخص مشهور ناجح في نظر الجميع، وأي شخص غير معروف فهو إنسان عادي لم يحقق أي نجاح في حياته، لذلك كثر في الفترة الأخيرة قصص الشهرة، ولو بحثنا عن النجاح الحقيقي الذي يضيف إلى المجتمع وللناس من بينها لن نجده. النجاح من وجهة نظري أن تحقق أفضل نتائج رغم قلة المعطيات لديك أو رغم انعدام الأسباب أو ندرتها، أن تصل إلى محطة سعيت إليها رغم صعوبة الطريق، لذلك أنا أرى أن لكلٍ منّا ولو قصة نجاح واحدة تضاف إلى قاموس حياته. الزوجة التي تستيقظ في الخامسة صباحًا، لتحمل أقفاص الخضار على أكتافها، وتجلس في الشارع رغم البرد القارص شتاءً، أو حرارة الشمس صيفًا، كي تربي أبناءها، وتكفيهم شر الحاجة إلى الآخرين، وتعلمهم وتزوجهم دون أن يساعدها أحد رغم بساطة دخلها، هذه هي أعظم قصص النجاح التي تستحق أن يقف لها الجميع احترامًا. الطالب الجامعي الذي يدرس، ويعمل لمساعدة والديه، ولتوفير مصاريفه الجامعية، أو ليدرب نفسه على الحياة العملية، أو لأي سبب كان، وفي نفس الوقت يساعد الآخرين، ويتبرع ببعض وقته لعمل الخير، وينمي مهاراته ومواهبه، هذا الشاب نموذج وقدوة لكل أبناء جيله. طالب الثانوية العامة الذي حصل على أعلى نسبة رغم ضيق حال أسرته، ورغم قلة الاهتمام، وقلة تنوع طعامه، واعتماده على نفسه في تحصيل الدروس. أن يجتاز أحدهم كمًا هائلًا من المِحن التي عصفت به في الحياة -وكادت تودي به إلى القاع- بعود صلب وصدر رحب، وأن يرتفع رغم أن كل القوى تدفعه إلى السقوط. باختصار لكل

منّا قصة وصل فيها إلى نتائج مرضية، وأهداف قصدها رغم انعدام الأسباب أو ندرتها. لكل منا قصة نجاح يجب أن يبحث عنها ويُبروزها، ويفتخر بها. افتخر بنفسك، وبمعاركك الجانبية الخفية عن الجميع، واعلم أن الشهرة ليست الغاية، ولا حتى الوسيلة الوحيدة للنجاح. اسعى دائمًا إلى أن تقدم الأفضل لحياتك وللآخرين، واعلم أن ليس كل مشهور ناجحًا، ولا كل ناجح مشهور.

الرسالة السادسة والعشرون

مكروه للكل ولكن

أتعجب للكنة السائدة من البعض، حين يستنكر المجتمع بعض السلوكيات الخاطئة، التي لست بصدد الحديث عن حكمها الشرعي بالطبع، لكن يشد انتباهي دائمًا تلك النغمة المعهودة: "حلال للرجل، وحرام للمرأة"، لماذا تهب علينا رياح اضطهاد المجتمع للمرأة دائمًا بمناسبة أو دون مناسبة؟ لماذا يقللون دائمًا من المرأة بدعواهم تلك، ويشنون حروبًا، وصراعات بين أطراف هم في الأساس يكملون بعضهم بعضًا، وليسوا طرفي صراع؟ فلنأتِ إلى النقطة الأهم في الرسالة، التي أحب أن أوضحها بإيجاز شديد. بعض السلوكيات مكروهة للرجل وللمرأة، لكنها تتعارض أكثر مع طبيعة المرأة الرقيقة البريئة، وتنتقص من أنوثتها، لذلك يرفضها المجتمع بشدة عندما تمارسها المرأة؛ كشرب السجائر والخمور، والألفاظ البذيئة، والحركات الخادشة، وما إلى ذلك، كلها سلوكيات لا تليق بطبيعة الأنثى، لذلك عندما تمارسها تُقابَل بالاستياء أكثر من الرجل، والعكس صحيح تمامًا، فهناك أيضًا سلوكيات خاطئة للطرفين، لكنها للرجل يزيد خطؤها، لأنها تتعارض مع طبيعته، وتنتقص من رجولته. إذن فالفكرة ليست اضطهادًا سافرًا للمرأة من قبل المجتمع. لو أننا نفكر قليلًا قبل أن ننصاع وراء الدعوات الوهمية لنجونا من الغرق في الكثير من الصراعات الجانبية.

الرسالة السابعة والعشرون

أما عنّي

سأحدثكم عن نفسي قليلًا، بعد اكتشافي لها عندما تجاوزت الثلاثين من عمري، وشعرت أنني لم أحقق ما تمنيت، ولم أصل إلى ما تمنيت الوصول إليه.

كنت أتمنى دائمًا عكس كل البشر؛ أن أكون فتاة "عادية"، وأن أنعم بحياة هادئة، وأترك أثرًا طيبًا لدى القلوب، والأرواح القليلة التي من المحتم عليَّ مقابلتها في مشوار الحياة.

وقد حققت رغبتي الأولى، وأخفقت في الثانية، وأما عن الثالثة فلا أعلم، فقلوب المحيطين بي هي التي تحدد.

وأما عن فارس أحلامي، فلم أكن كباقي الفتيات؛ أرسمه فارسًا يمتطي الجواد الأبيض، أو نجمًا سينمائيًا، أو شخصًا خارقًا، بل أردته مثلي تمامًا، بسيطًا في سيرته وعشرته، مطابقًا لي في المبادئ، فلا يمسح أجواخًا، ولا يتمسّح في السادة، ولا يتسلق الأكتاف، ولا يضحك من وراء الأنياب.

ويتفوق عليَّ في القوة والصبر، ليصبح حقًا جدارًا أحتمي به، ويفوقني في كل الاهتمامات ليملأ عيني، يعرف متى يجاريني في عفويتي، ومتى يحتفظ برجولته.

أنا كنت أظن أنني أتطلع إلى "الممكن"، ولكنني بعد عمر طويل علمت أنه "المستحيل".

الرسالة الثامنة والعشرون

عازبة ولست خاطفة

عندما تفتحت عيناي على الحياة وجدتني من ذلك النوع الذي يعشق أن يهتم بمظهره، ويجعل الاهتمام جزءًا أساسيًا من يومه، لا ينشغل عنه، ولا يهمله لأي سبب، لم أهمل في مظهري قط منذ ولدت، إلا في أوقات الخفقان النفسي الذي يمر به الجميع من وقت إلى آخر.

الأمر لا يتعلق إطلاقًا بكوني عزباء، وليس لدي أسرة وأطفال، أو أنني "فاضية"، كما يشير إليَّ البعض بشيء من الخبث. هو فقط كما ذكرت طبيعة يولد بها الإنسان؛ إما أن يولد نظيفًا منمقًا يحب الجمال، أو لا، فأنا على يقين أن الأمر لن يتغير عندما أتزوج، ويصبح لدي زوج وأطفال.

أتعجب لمن تترك نفسها للأيام تفعل بها ما تشاء، ثم تذهب لتؤنِّب الأخريات وتلومهن وتسمم أبدانهن، لأنهن يعتنين بأنفسهن، بينما تهمل هي جمالها وأناقتها!

أتعجب أيضًا حين يسنِدْن نجاح الفتاة العازبة في الحياة، لأنها عازبة ومتفرغة، ثم يبدؤون في بث السموم والأحقاد حولها.

محير هو عالم النساء، مثير للدهشة والانزعاج..!

تجد داخل هذا العالم قوانين غريبة ودخيلة ومعقدة أيضًا؛ ففي هذا العالم ليس من حق الفتاة العازبة أن تهتم بجمالها، أو تتقدم في عملها أو حياتها، وإلا ستصبح عدوة الجميع.

يثيرني ذلك القانون الذي يتحكم في تعاملات النساء ببعضهن بعضًا، والذي يبررن به جميع جرائمهن، وهو قانون الغيرة. يتعاملْن مع هذا القانون على أنه غريزة لن يحاسَبوا عليها، كغريزة البقاء، والأكل، والنوم!

أي غريزة تجعلكِ تتخلين عن مسئولياتك، وتضيعين الوقت في الثرثرة للتقليل من شأن الآخرين!!

أي غريزة تجعلك تتناسين أن كل من نال شيئًا في هذه الحياة الشاقة، حتى وإن كان بسيطًا، ناله بعد سعي وبذل!!

الأنيقة الجميلة سعت إلى ذلك. الناجحة المتميزة سعت إلى ذلك. بصرف النظر عن المتسلقين في هذا الزمان، أو متسولي الشهرة، أتحدث عن المجتهدات حقًا، الساعيات دائمًا لتطوير أنفسهن، وتغيير حياتهن للأفضل.

كل فتاة عازبة تهتم بجمالها فهو حق مشروع لها، وهي لم تفعل ذلك لتخطف الأنظار، وتسرق الرجال المتزوجين.

كفوا عن التعامل مع الغيرة والحقد كغرائز طبيعية؛ لن يحاسب عليها الله.

فكم من حروب أحرقت! وكم من خلافات قامت وتسببت في الخراب بدوافع غيرة النساء من بعضهن بعضًا!

الغيرة الطبيعية فقط هي غيرة الزوجة على زوجها من الغريبات أن تقربن إليه، أو حاولن لفت انتباهه، أما غير ذلك فلا مبرر، ولا دافع ينجيكِ من الإثم.

الرسالة التاسعة والعشرون

الحلوى المكشوفة

لا أعلم كيف أصف، أو أعبر عمَّا يدور بداخلي، من ألم وحيرة، لكنني سأحاول أن أهديكم في سطور رسالتي ما أهدف إليه ليصل إليكم، لكنني سأوضح نقطة هامة أولًا.

يتداول الكثيرون وصف "الحلوى المغطاة، والحلوى المكشوفة" للتفرقة بين الفتاة المحجبة وغير المحجبة. وأنا أرى أنه لا يصلح هذا الوصف في هذه الحالة. هناك حالة أخرى ينطبق عليها هذا الوصف تمامًا؛ فالحلوى المغطاة هي الفتاة التي تحفظ قلبها ومشاعرها لصاحب النصيب سواء أكانت محجبة أم غير محجبة، والحلوى المكشوفة هي الفتاة المتاحة للجميع، من حب وغزل، ومزاح وإطراء.

أنا الآن ابنة التاسعة والثلاثين، تزوجت وأنا في السابعة والثلاثين، قد أكون تأخرت بمقاييس مجتمعنا، لكنني كنت أراه توقيتًا مناسبًا؛ أولًا: لأن الله يدبر كل أمر بميعاده المناسب، ثانيًا: لأنني كنت قد نضجت بالشكل الذي يكفيني، لأكوِّن أسرة ناجحة.

قبل الزواج، وخلال سنوات عزوبتي التي طالت -كما سبق وذكرت- كنت فتاة متحفظة كثيرًا؛ متحفظة بالمعنى الوسطي الذي يفيد بأنني أخرج وأتعامل مع الكل، ولي دائرة علاقات أسرية ببعض الزملاء، وأتعامل مع هذا وذاك، لكنني كنت أتعامل كالرجل؛ لا أفتح بابًا للشيطان، كنت أتعامل في حدود العمل، أو حدود القرابة، أو حدود المعرفة الأسرية.

كنت أجاهد طوال الوقت كي أحفظ مشاعري لصاحب النصيب، وأهم من هذا أنا فتاة ملتزمة بألا تكون متاحةً للجميع.

طرق بابي الكثيرون، لكن في كل مرة لم يتم الأمر إلى أن جاء زوجي، وتمت الزيجة.

تصورت حينها أنني مقبلة على جنة من المشاعر والأحاسيس. نعم.. فهذا صاحب النصيب الذي ادخرت له كل أنوثتي، ومشاعري الناضجة، وقلبي النظيف الخالي تمامًا أمامه. تصورت أنه سيتجاوب مع كل ذلك، ويبادلني إياه، فهذا حقي أيضًا، لكنني بعد مرور عام على زواجنا وإنجابي طفلنا الأول وجدت أن زوجي -ويشاركه في ذلك الكثير من الرجال- تزوج بالفتاة المغطاة عن الجميع عمدًا منه، كي تربي أبناءه، وتقضي حوائجه، ويأتمنها في غيابه فقط، نعم.. فقط.

في أحد الأيام علمت أن زوجي على علاقة غرامية بامرأة متزوجة، كنت أعرفها جيدًا، وأعرف أن جميع الرجال يحبونها، والمفاجأة أنها أيضًا تحب جميع الرجال! فهي الحلوى المكشوفة المتاحة للجميع.

زوجي الذي ادخرت له كل مشاعري، وتجرعت مرارة الوحدة والجفاء لسنوات، رغم أنني كنت بحاجة إلى سماع كلمات الغزل والإطراء، والإعجاب مثل باقي الفتيات، كي أشعر بأنوثتي، لكنني اتقيت الله في نفسي وفيه. زوجي الذي أعطيته وقتي وكامل مشاعري، واعتنيت بجمالي ليجدني أخر كل يوم عروسًا جديدًا تبهجه، وتعوضه مرارة اليوم، لم يدِن لي بكل ذلك.

لماذا يتهافت الرجال على النساء المتاحة للجميع؟!

لماذا يرفض الرجل المرأة التي تتاح له فقط، لتحافظ على كرامته؟! لماذا لا تملأ عينه صاحبة الصون والعفاف؟!

لماذا لا يدركون أن النساء المتاحة لكل الرجال الغرباء مثلهم تمامًا؛ تعطي للجميع حبًا وهيامًا وعشمًا، وتترك زوجها يجتهد ليلتمس منها أي ابتسامة عذبة؟!

الرسالة الثلاثون

رائحة السعادة

أتذكر أيام طفولتي؛ كان كل شيء يفوح برائحة السعادة.

رائحة ملابس العيد الجديدة، والأحذية، التي كنا نحتضنها طوال الليل في انتظار بزوغ الفجر، ليعلن عن بدء يوم العيد، لنرتديها. أتذكر فرحتنا بتلك الروائح جيدًا.

رائحة الزي المدرسي، والكتب والكراسات، والأقلام، والأدوات المدرسية عمومًا عند بداية العام الدراسي الذي كان يُخيف الجميع، لكن هذه الرائحة كانت تهون كثيرًا.

رائحة ملابس موسم الشتاء، مع لسعة البرد التي كانت تعلن عن بداية موسم محبب جدًا لنا، سننعم فيه بالمطر، واللعب تحت زخاته، وجمْع حباته على اليدين، أيضًا رائحة المطر ذاته، وامتزاجه مع أتربة الشوارع.

رائحة زهرة الياسمين في بداية موسم الربيع، في ساعة العصاري، مع كوب الشاي بالنعناع، وصوت الأفلام الصادر من منازل الجيران، والمختلط مع صوت الست "أم كلثوم" الذي يصدر من بعض المنازل الأخرى.

أما عن شهر رمضان المعظم، وروائحه الجميلة، صباحًا تنتشر رائحة الكنافة والقطايف من المخابز، وليلًا تنتشر روائح القمر الدين وفول السحور.

كل هذه نماذج من روائح كنَّا نستنشقها، ونستنشق معها سعادة لم نشعر بها الآن مهما نحاول.

هل غابت تلك الروائح من الأشياء والأيام أم أن نفوسنا لم تعد صافية كما يجب كي تستشعر هذه السعادة؟!

هل أخذنا هذا الزمان المادي، فلم نعد نلتفت إلى مسببات السعادة البسيطة أم أخذها هي منّا بدليل أننا ما زلنا نبحث عنها في كل وقت وكل شيء، ولم نجدها؟!

ستظل هذه الأسئلة حائرة إلى أن تعود إلينا إجاباتها، أو تعود إلينا رائحة السعادة.

إهداء..4
المقدمة 5
رسالة الكاتبة الأولى 5
الرسالة الثانية..8
في قلبي أنثى شرقية...8
الرسالة الثالثة...11
لا تجعلوني مجرمة...11
الرسالة الرابعة..14
"كفاية زن" 14
الرسالة الخامسة 18
ابن أمه..18
الرسالة السادسة..20
مواقع تواصل بلا تواصل..20
الرسالة السابعة...22
أريد جدّي...22
الرسالة الثامنة..24
تعددت الأسباب، والزواج واحد 24
الرسالة التاسعة...26
المعادن التي لا تصدأ...26
الرسالة العاشرة...28
حكاوي المحروسة...28
الرسالة الحادية عشرة...31
شكرًا يا أبي..31

الرسالة الثانية عشرة............ 33
مجتمع الفضيلة 33
الرسالة الثالثة عشرة............ 35
فارس أحلامي شرقي............ 35
الرسالة الرابعة عشرة 38
للسفينة قبطان واحد 38
الرسالة الخامسة عشرة............ 40
فنجان قهوة 40
الرسالة السادسة عشرة 42
التنمر............ 42
الرسالة السابعة عشرة 45
شكرًا يا أمي............ 45
الرسالة الثامنة عشرة 49
صينية بطاطس 49
الرسالة التاسعة عشرة............ 52
آخر العنقود 52
الرسالة العشرون............ 55
"مش سترونج إندبندنت ووِمان"............ 55
الرسالة الواحدة والعشرون............ 58
رومانسية دوت فعل............ 58
الرسالة الثانية والعشرون 61
أحبِّ نفسكِ كما هي............ 61
الرسالة الثالثة والعشرون 63
الرجل الحق 63

الرسالة الرابعة والعشرون...65
تنازلات بلا صدى 65
الرسالة الخامسة والعشرون 68
أنت ناجح 68
الرسالة السادسة والعشرون...71
مكروه للكل ولكن...71
الرسالة السابعة والعشرون...73
أما عنِّي 73
الرسالة الثامنة والعشرون...75
عازبة ولست خاطفة...75
الرسالة التاسعة والعشرون 78
الحلوى المكشوفة 78
الرسالة الثلاثون...82
رائحة السعادة...82

ربيع الثلاثين

ياسمينا عفيفي

يظن أغلبكن أن الثلاثين هو بداية الشيبة و العجز و انهزام الاحلام و وأود الطموحات لكنني من خلال هذا الكتاب أقول لكل ثلاثينية انك في نواة شبابك واكتمال أنوثتك و روعتها انطلقي يا عزيزتي في ناديك الثلاثين كفراشة رقيقة ما زالت تحتفظ ببراءتها وعنفوان شبابها فأنت زهرة هذا الربيع وبطلته التي ستضيف له الكثير من العطر والبهجة و الكثير من الأثر الطيب.